الباب الخامس

الحيل اللاشعورية

سبق أن ذكرنا أن الرقيب لا يسمح للنزعات أن تعبر عن نفسها تعبيرا يخالف ما اصطلح عليه المجتمع من قوانين وآداب ونظم ، وبيّنا كيف يحدث الكبت فى هذه الحالة .

ورأينا كيف أن النزعات المكبوتة لا تقف عند هذا الحد ، بل هى تحاول الظهور والتعبير عن نفسها بمختلف الطرق . ولكن الرقيب واقف بالمرصاد يبدها من حيث أتت ، ويمنع ظهورها خوفا على الذات أن يصيبها مكروه من جراء ذلك .

ولذلك تلجأ النزعات إلى نوع من الحيل يطلق عليها اسم الحيل اللاشعورية تتنكر بواسطتها فتعبر عن نفسها تعبيرا ملتويا غير مباشر ، يظهرها للأنا بغير حقيقتها ويخدع الرقيب عن أمرها ، والحيل فى مجموعها عبارة عن وسائل للتمويه والتعمية ، بعضها يؤدى بالانسان الى تحويل نزعاته الغريزية ، الى مستوى أعلى يوافق المجتمع ويكون رضاء عنه ، وبعضها من قبيل الاضطراب النفسى الذى يجعل الشخص شاذا بعيدا عن الاتزان وفيما يلى تفصيل بعض هذه الحيل .

١ — الابدال [1] :

يقصد به نقل فكرة القيمة الوجدانية من فكرة الى فكرة أخرى ، ففكرة الأم مثلا ذات قيمة وجدانية عند الطفل لما يصحب إدراكها من انفعالات مرتبطة بغرائزه . ولكن هذه القيمة الوجدانية يصح أن تنتقل الى شخص آخر أو فكرة أخرى تحت شروط خاصة ، كأن يكون بينها وبين الأم تشابه فى الصورة أو الوظيفة أو أى تشابه عارض . وفى اللاشعور خاصة عجيبة هى أنه يتغافل عن أوجه الاختلاف تغافلا تاما ، ويتمسك بأوجه الشبه مهما كانت عارضة ، وتكون للفكرتين نفس القيمة عنده بناء على هذا التشابه العارض .

---

(1) Displacement

وتقل القيمة الوجدانية من فكرة الى أخرى يشبه تماما ما نلاحظه فى أنفسنا وغيرنا أحيانا ، فقد يعود الأب متضايقا من معاملة رئيسه له فى عمله ، فاذا دخل البيت وأحاط به أولاده فرحبين ، نهرهم أو أجاب أسئلتهم بلهجة غير ودية ، مع عدم وجود سبب مباشر يدعو الى ذلك .

وكما يلاحظ فى كثير من الآباء الذين تسوء زوجاتهم معاملتهم ، فيسيئون هم بدورهم معاملة الخدم والأولاد — أو الرؤساء الذين يسيء معاملتهم من هم فوقهم فيسيئون معاملة من هم دونهم ، وكذلك الأخوات الذين يسيء معاملتهم الأبوان تسوء معاملة كبيرهم لصغيرهم ، ففى كل هذه الأحوال نجد أن المعاملة التى كان يجب أصلا أن توجه الى الرئيس أو الكبير وامتنع ذلك لأسباب واضحة ، قد وجهت الى هؤلاء الأفراد الآخرين عن طريق الإبدال .

بل إن هناك ما هو أكثر من هذا ، فكثيرا ما تساء معاملة الشخص ويشعر بالغضب الشديد نحو المسيء اليه ، ولكنه لايستطيع أن يوجه اليه ما لقيه من الإساءة ، فيمسك بما يتفق وجوده من الأشياء أمامه ويلقبه الى الأرض كما لو كانت هى المتسببة فى غضبه ، وكثيرا ما يختار شيئا سهل الكسر فيدمره تدميرا ، ويجد لذلك فى نفسه راحة كما لو كان قد عاقب المسيء اليه فعلا . وكثيرون من الأطفال يجدون فى تدمير عرائسهم وألعابهم بديلا عن الرغبة فى عقاب أبويهم لما يشعرون بضغطهم عليهم .

فى كل هذه الحالات يحدث إبدال فيعامل شخص أو فكرة بريئة بالمعاملة التى كان الشخص يتمنى أن يعامل بها المسيء الحقيق .

٢ — رد الفعل [1]

رأينا أن حل الصراع فى حالة حصول الإبدال يكون على حساب القوى الكابتة ، اذ تظل الطاقة المستعملة فى الإبدال هى الطاقة المستمدة من النزعات المكبوتة . بعبارة أخرى أن الطاقة تسير فى طريق موازلطريقها الأصلى ، ولكن يحدث أحيانا عكس ذلك فيكون الحل مظهرا للقوى الكابتة .

---

(1) Over-Compensation or Reaction Formation

فالنزعة البدائية عند الطفل نحو الظهور قد تُبدَّل فيجد لذة فى أن يسمو على أقرانه جسما أو عقلا ، أو أن يبحث عن الشهرة أو البروز فى مختلف النواحى .

أما إذا حل النزاع عن طريق رد الفعل ، فان الرغبة فى الظهور تكبت ويحل محلها ميل للخجل والانزواء وإذلال النفس — وذلك السرور البدائى الذى يجده الأطفال فى اللعب بالأقذار قد يتحول الى رغبة فى تشكيل المواد على اختلافها كما فى الرسم أو النحت أو الطبخ . . . . الخ

أما "رد الفعل" فإنه يكبت هذه النزعة ويكون بدلا منها نزعة متطرفة ترمى إلى النظافة ، يصحبها خوف شديد من كل أنواع التلوث

فيظهر سلوك الشخص بمظهر مبالغ فيه ضد اتجاه النزعة المكبوتة ، فمثلا ، كثير من العوانس يتشممن رائحة النزعة الجنسية فى كل كلمة مهما كانت بريئة ، وفى كل فعلة مهما كانت غير مقصودة ، وما ذلك إلا لأن النزعة الجنسية عندهن قد كُبتت ، وحلت محلها نزعة مضادة تنفر نفورا مبالغا فيه من كل ما يصح أن يشير الى الجنس ولو بطريق التعريض البعيد ، وقد استغل كثير من الكتاب والروائيين هذا المظهر فى رواياتهم — أما النزعة المبالغ فيها نحو النظافة وضد التلوث ، فهى أيضا من المشاهدات العادية ، فالشخص الذى يتشكك فى كل شىء ويعتبره نجسا ، أو سببا محتملا لعدوى ، فيحمل فى جيبه زجاجة الكحول يغسل بها يديه كلما صافح غريبا ، أو لمس شيئا لا يعرف نصيبه من النظافة ، هذا شخص حدث عنده "رد فعل" لنزعة اللعب بالاقذار التى تملكته وهو طفل ، وقد تكون القذارة المادية رمزا للقذارة الخلقية ، فيجد العقل فى محاربة الأقذار المادية رمزا لمحاربة النزعات الغريزية "القذرة" ليشفى غليل القوى الكابتة . . .

ونجد كثيرا من الأشخاص يالغى القسوة ضد كل هفوة اجتماعية أو خلقية ، دائمى الشك فى سلوك الآخرين ، وما ذلك الا لأنهم هم أنفسهم يحتوون هذه النزعات فى "لاشعورهم" وقد كونوا حولها سياجا مضادا هو هذه النزعة المبالغ فيها .

٣ — التكثيف [1] :

فى هذه الحالة يعبّر سلوك الشخص عن كلتا النزعتين الكابتة والمكبوتة فى وقت واحد ، ومما يوضح هـذا قصة رآها المؤلف بنفسـه تتلخص فى أن طفلا كان يصاحب أمه الى دكان للفاكهة ، وقد انصرفت عنه الأم فوقف أمام صندوق للتفاح ومد يده نحو التفاح ، ولكن قبل أن يلمسه سحب يده مرة أخرى . ولكن الأمر لم يقف عند هذا ، بل استمرت حركة يده جيئة وذهابا كرقاص الساعة ، واستمر يكرر هذه اللازمة الى أن شغل عنها بأمر آخر ، وكان يكررها حتى بعد انصراف نظره وذهنه عن التفاح . والمثال واضح فالحركة الأولى تعبر عن النزعة البدائيـة للحصول على ما يريده بغير نظر للظروف ، والحركة المضادة تمثل النزعة المضادة نحو المحافظة على ما اصطلحت عليه البيئة من حق الملكية وحسن السلوك ، وكأن كلا من النزعتين قد رضيت عن التعبير الرمزى عنها بهذه الحركات المتبادلة .

وهناك مثال آخر هو قصة كثيرا ما تُقص على سبيل الفكاهة فى أكثر من أمة واحدة ، مضمونها أن شخصا كان يسير فى الطريق متكلما مع زميل له ، وقد مر برجل من رجال الشرطة أثناء ذلك ، فسمعه الشرطى يقول " دى حكومة مغفّلة " ، ولم يسمع شيئا خلاف ذلك . ولكنـه لم يتوان فى القبض على الرجل وتوجيه التهمة اليه باهانة الحكومة القائمة . ولكن الرجل احتج قائلا : أنا لم أقصد هذه الحكومة أبدا بل إنى احترمها ، وإنما قصدت حكومة " كذا " الأجنبية . ولكن الشرطى لم يصدق ما سمعه منه وقال " لا تظن أنك تخدعنى بمثل هذا فأنا أعرف جيدا ما تقصد اليه ، حينما تقول حكومة مغفلة " . فالشرطى بتصرفه هذا إنما :

(١) يدافع عن الحكومة ويخدمها بقبضه على من يظن أنه أهانها .

(٢) وهو فى الوقت نفسه يهينها ويحقرها لعدم تسليمه بامكان توجيه تهمة التغفيل الى غيرها . وهو مخلص فى نزوعه وغير شاعر بما فى سلوكه من التناقض .

ثم هناك قصة ذلك الواعظ الدينى الذى كان يؤم المساجد ويعظ الناس وعظا اشتهر أمره وقتا ما ، وكان هذا الواعظ يحض على الفضيلة ، غير أنه لم يكن يحض على الفضيلة بقدر ما كان ينهى عن الرذيلة . ولكن النهى عن الرذيلة يحتاج الى

---

(١) Condensation

وصفها ووصف مواطنها ومكائدها ، وما يدعيه الناس فيها من الملذات . وكان كثير من الناشئين يذهبون الى مواعظه يلتمسون فيها وصفه الشائق للرذيلة ، ويجدون رضاءً عن ذلك الوصف ، ويخرجون وهم يبتسمون لأنهم سمعوا عن الرذيلة أكثر بكثير مما سمعوا عن الفضيلة ، وعرفوا عنها ما لم يكونوا يعرفون . والقصة واضحة فيما قصدنا اليه فالدرس الذى يعطيه هذا الواعظ يقصد منه الى ارضاء رغبته الظاهرة الى الفضيلة والتقوى ، ولكن نزعته إلى ضدّهما تجد طريقها بالرغم منه إلى الظهور فى خلال كلامه ، فتدفعه وهو لا يدرى إلى وصف الرذيلة وصفا شائقا محببا للكثيرين ممن لا تهمهم الفضيلة فى شىء .

ونذكر بهذه المناسبة ناحية مهمة أو خاصةً مهمة من خواص العقل وهى "تناقض العواطف" [1] وهى تتلخص فى أن العقل قد يشمل عاطفتين متناقضتين فى وقت واحد موجهتين نحو موضوع واحد ، كعاطفتى الحب والكره ، على شرط أن تكون إحداهما شعورية والثانية لاشعورية . بل إن هذا التناقض موجود دائما فحيث هناك شعور بالحب والتفانى نحو شخص ما ، فهناك نزعة لاشعورية نحو كراهيته ، بل إن الشعور بالتفانى فى الحب كثيرا ما يكون ستارا يحجب ما يضمره اللاشعور من كراهية وسوء نيّة .

وحيث نجد التفانى الشديد فى إظهار الحب والمبالغة فيه نحو أى كان ، فاننا نشتبه فى وجود ضده فى الجانب اللاشعورى من العقل .

وللتحليل النفسى فضل اظهار هذه الناحية التى تفسر أمرين :

الأول — كيف أن كل ما يمر به الطفل من التجارب مع أبويه يترك أثرا فى نفسه فما كان منها سارا أدى إلى تكوين الكراهية ، وبما أن العقل لا يحتمل التناقض الظاهر فى هذه الحالة فان إحديهما تكبت وتصبح لاشعورية لا يحسها الشخص مطلقا .

الثانى — ما يظهر من التناقض فى سلوكنا أحيانا نحو من نحب أو نكره — فنكره شخصا لأنه فاقنا وبلغ مبلغا لم نستطع الوصول اليه ، ونحن إنما نكرهه لأننا نُعجب بما هو فيه ، ونتمناه لأنفسنا فنحن نحبه فى صورةٍ ما . ونحن إذ نثق بصديق

(١) Ambivalence

أو بحبيب ثم نجد منه ما لا يحقق الثقة نكرهه أشد الكره ، لأننا نحبه أشد الحب فى الواقع ، وهكذا نجد أن كل صديق لنا هو عدو محتمل ، وكل عدو هو صديق محتمل ، وقد تؤدى هفوة ضئيلة إلى الانقلاب من حال إلى حال آخر . وربما كان فهمنا لهذه الحقائق مساعدا لنا على بناء علاقاتنا الشخصية على أسس أثبت . والواقع أن العلاقات المبنية على الفهم والتواضع فى التقدير أبقى من العلاقات التى تصل فيها العاطفة إلى درجة مبالغ فيها من الشدة .

٤ — (التبرير) [1] :

نستطيع الآن أن نفهم أن سلوكا كثيرا مايكون نتيجة دوافع داخلية لسنا على استعداد لأن نصرح بها حتى فيما بيننا و بين أنفسنا . وأن هذه الدوافع كثيرا ما تقودنا إلى تصرفات متناقضة فنفعل اليوم ما أنكرناه بالأمس ، وأتى غدا بما ننكره اليوم . والحياة العقلية كما قلنا تحتمل هذا التناقض على شرط ألا يكون ظاهرا ، ولذلك فنحن نفسر سلوكنا سواء لأنفسنا أم لغيرنا تفسيرا لا نرجعه إلى الدوافع الداخلية ، بل نُضفى عليه ثوبا من المنطق المعقول . كما لو كان هذا السلوك مبنيا على الحكمة والتفكير والتدبير . فنفسر التناقض بين أفعالنا تفسيرا يجعلنا نغطى هذا التناقض ونرجعه إلى أسباب تتعلق بتغير فى الظروف وتبعده عن أن يكون تغيرا لاعلة له إلا تقلب أهوائنا ، وهذا هو مانسميه بالتبرير فالانسان يبرر استمساكه بالتدخين بأنه يهدئ الأعصاب مثلا ، مع العلم بأن معرفته بأنه مهدئ للأعصاب لم تتأت إلا بعد أن تعود التدخين ، و يبرر كراهيته لشخص بما وجده فيه من حطة ودناءة قد تكون وهمية . وقد تكون الكراهية مبنية على وقوف هذا الشخص فى طريق رغباته أو نزعاته ، ونبرر آراءنا السياسية والاجتماعية تبريرا منطقيا ، بينما نكون قداعتنقنا هذه الآراء لأسباب تتعلق برغباتنا الشخصية فى بعض الأحيان . وهذا يدلنا على أن حياتنا ليست مبنية على المنطق بقدر ما هى مبنية على هذه الأهواء التى تدفعنا اليها الدوافع الداخلية ، والتى لا نريد الاعتراف بها ، وخصوصا فيما بيننا و بين أنفسنا . ولن تمكن الفرد أن يستخدم المنطق لأى درجة معقولة ، إلا عن طريق فهم دوافعه ونزعاته على هذا الأساس . وأمثلة التبرير كثيرة لاداعى لذكرها لأننا نراها أمامنا فى كل آن .

---

(1) Rationalisation

٥ — (الالصاق)[1]

نجد أحيانا شخصا كثير التشكك فى أمانة الناس دائم التفكير فى حماية نفسه وحماية المجتمع من شرورهم ، لايثق بمخلوق ولا يستطيع أن يأمن إلى أحد ، وهو فى محاولة دائمة لنصب الشباك لهم ومحاسبتهم على ما يقترفون بالفعل أو بالنية .

والواقع أن مثل هذا الشخص يُخضع تحت هـذا المظهر الشعورى نزعة لاشعورية هى نفس النزعة التى يفتش عنها بين الآخرين تحت المنظار المكبر . وبعبارة أخرى فانه يلصق ما به من صفات لاشعورية بغيره ، ثم يأخذ على عاتقه محاربة هذه الصفات والتنكيل بها فى الغير . ونلاحظ أن الصراع يصير خارجيا بدل أن يكون داخليا ، فبدل أن يكون صراعا بين الشخص وبين نزعته إلى عدم الأمانة ، يصير صراعا بينه وبين هذه النزعة الموهومة عند سائر الناس . ومعظم الاشخاص الكثيرى الشك فى غيرهم بدرجة غير عادية ، من هذا الطراز الذى يصل العقل فيه إلى تخفيف الضغط الداخلى من طريق الالصاق . وكلنا يعرف أن الرجل الذى تطرف فى التمتع بحياته فى الشباب ، يصبح زوجا غيورا غيرة زائدة عن الحد ، و يتطرف فى الشك فى كل حركة أو لفظة .

٦ — (الامتصاص)[2] :

ذكرنا كيف أن إملاء العالم الخارجى ينتقل إلى الذات و يصبح داخليا ، وهو ما ينشأ عنه الصراع ثم الكبت ، وهذا الانتقال للنزعة من الخارج إلى الداخل يطلق عليه اسم الامتصاص .

والطفل يمتص عن أبويه ، ثم عن غيرهم من الاشخاص الذين يحلون محلهم والمبادئ الخلقية والاجتماعية تدخل العقل عن طريق الامتصاص ، كما أن الأنا العليا تتكون عن هذا الطريق .

والتقليد والمشاركة الوجدانيـة والاستهواء عبارة عن نتائج للامتصاص والامتصاص نتيجة للحيلة التالية وهى " الاندماج " .

---

(١) Projection : أو الإسقاط كما سماه بعض الزملاء.

(٢) Introjection

٧ — (الاندماج)[1]

عندما تقول اندمج الممثل فى دوره ، نقصد أنه قد نسى شخصيته الأصلية ، وأصبح يتكلم بلسان الدور الذى يمثله . ويحدث فى الحياة العقلية مثل ذلك تماما . فالطفل حينما يمتص صفات الأبوين إنما يندمج فيهما عن طريق نشوء الأنا العليا ، ويصبح كما لو كان يقوم فعلا بما يقوم به الأبوين من الرقابة والتوجيه والنقد . ويحدث الاندماج بعد ذلك بالنسبة لأفراد يقومون مقام الأبوين كالمدرسين والرؤساء والزعماء ومن اليهم ويحدث الامتصاص نتيجة للاندماج .

٨ — (الإعلاء)[2]

الإعلاء نوع خاص من الإبدال رأينا أن نفرد له بندا خاصا لأهميته ، ويتميز بأن هدفه ذو قيمة اجتماعية وثقافية خاصة ، اذ تجرد الطاقة الغريزية فيه من طبيعتها الجنسية[3] ، وتتجه نحو غايات وأغراض عليا لا يوافق عليها المجتمع حسب ، بل يحمدها وينظر اليها نظرة إعجاب واحترام . ونتيجة ذلك أن يصبح الشخص "مفرما" بالأدب ، أو الفن ، أو الموسيقى ، أو غير ذلك من نواحى الإعلاء . والإعلاء تعبير عن النزعات الغريزية فى مستوى أعلى من مستواها "الفطرى" . ويبدأ الاعلاء من الوقت الذى يجد الطفل فيه أن هناك سبيلا رفيعا محمودا يوافق عليه المجتمع ، ويستطيع هو أن يوجه اليه الطاقة الغريزية المكظومة ، فيجد فى ذلك نوعا جديدا من الإشباع لا عهد له به من قبل ، إشباع ناتج عن تحقق غرضين (الأول) التعبير الرمزى عن الغريزة بطريقة منتجة و (الثانى) الحصول على رضاء المجتمع ومحمدته

والاتجاه إلى الاعلاء يحدث تدريجا ، ويتوقف على ما يصادف الطفل من نواحى النشاط والعمل التى يجد فيها السبيل لتحقيق غريزته ، كما يتوقف على قدر من الكبت[4] يضرى الغريزة باختيار هذا المجرى البديل ، ولكنه يتوقف أيضا

---

(١) Identification

(٢) Sublimation

(٣) Becomes De-sexualized

(٤) Flugel : Psychoanalysis

على شئ من الرفق فى المعاملة ، والتوجيه الودى من المحيطين بالطفل ، لأن الإعلاء ظاهرة اجتماعية فى وسائلها وفى نتائجها .

وأهمية الإعلاء بالنسبة للجنس البشرى فى مجموعه ، أهمية كبيرة جدا ، فلو لم يكن للغريزة هذه القدرة على الارتفاع من مستواها الحسى ، لبقى الانسان قريبا من مستوى الحيوان ، وانما أمكن له أن يرفع مستواه الثقافى والاجتماعى والاخلاقى . . . الخ ، لأن غريزته قابلة لهذا النوع من التحول . وتحول الغريزة فى حالة الإعلاء تحول يمتاز بالسلاسة والسهولة ، وتقل فيه أو تنعدم تماما ، مظاهر الحرمان والصراع ، التى تعلق بأنواع الإبدال الأخرى ، فكأن الغريزة تجد فى المجرى الذى حدث فيه الإعلاء ، بديلا كافيا عن مجراها الأصلى . ولو صحت نظريات التحليل النفسى فان التقدم والحضارة الانسانية ما كانا فى الامكان لولا هذه النزعة للاعلاء ، فقد ظلت النزعات الفطرية البدائية للانسان الأول تتطور ببطء خلال الأجيال حتى تمخضت عن نواحى النشاط المعقدة والراقية التى نلمسها فى الجماعات المتمدينة الراقية .

ويتميز الاعلاء عن سائر أنواع الابدال بميزات أخرى — فأنواع الابدال الأخرى مرضية (١) فى طبيعتها إذ تظهر على شكل " أعراض " (٢) فى المرض العصبى . أى أن الطاقة الغريزية الأصلية تحيد عن طريقها الأصلى وتتجه إلى أحداث هذه الأعراض ، وذلك يشبه تماما ما يحدث فى حالة الاعلاء مع فرق واحد وهو ان الاعلاء يتضمن قيما خلقية وثقافية واجتماعية — وهذا الفرق خلق واجتماعى وليس نفسيا . فهل هناك فرق نفسى بين الاعلاء وسائر أنواع الابدال ؟ الواقع أن النظرة العميقة ترينا فرقا أساسيا بين النوعين : فالأعراض العصبية تبدو عليها آثار الصراع واضحة ، فكل عرض عصبى هو حل وسط " حل ناقص " (٣) للصراع وكل حل ناقص لا يؤدى إلى اشباع أى من فريق الصراع ، فيبقى مظهر الحرمان ، ويبدو الحل الناقص مصطبغا بهذا المظهر ،

---

(١) Pathological

(٢) Symptoms

(٣) Compromise

ومظهر الحرمان وما يصحبه من قلق من مميزات الأعراض العصبية . فالقوى الكابتة والنزعات المكبوتة تظل فى حالة غليان دائم لأن الحل "الأعراض العصبية" لا يشبع أيا منهما اشباعا كافيا .

فالأعراض تعبر عن الرغبات المكبوتة تعبيرا رمزيا أو وهميا ولكنه غير منتج من الوجهة الواقعية، وذلك كما فى أنواع الهستريا سواء منها ما كانت أعراضه عقلية صرفة كالقلق العصبي أو جثمانية أو حسية كما فى أنواع الهستريا "التحولية" (١) أما فى حالات "الحُصار" (٢) فان الاعراض تعبر عن القوى الكابتة .

ومن قبيل النوع الأول من الأعراض: الشاب المجول المنزوى "الذى يغلب عليه كبت النزعات" فاننا كثيرا ما نجده فى معاملاته خشنا جافا مع الآخرين، وفى هذا الجفاف والخشونة تنفيس أو تعبير عن الناحية المكبوتة فيه وتعويض عن المجل والانزواء المتمكنين منه

ومن قبيل النوع الثانى من الأعراض: الفتاة العانس التى تزيد امعانا فى تعذيب نزعاتها الجنسية المحرومة فتحرم على نفسها الفكرة واللفتة والحركة التى قد يستم منها ولو من بعيد رائحة الجنس ، وتتصرف كما لو كانت تشك فى نوايا نفسها ، ونوايا غيرها وبذلك تكون القوى الكابتة عندها هى التى تتحكم فى تصرفاتها وتتجيح فى أن تعبر عن نفسها .

كل هذه المظاهر للصراع والكبت نجدها فى الأعراض المرضية ولكننا لا نكاد نجدها فى الاعلاء .

فالسلوك فى حالة الاعلاء يمتاز بسلاسة وانسجام لانجدهما أبدا فى حالة الابدال المرضى ، فكأن الاعلاء قد حول الطاقة العصبية إلى مجار أكثر استقرارا ، ليس بها من عوامل الاحتكاك أو عوائق السير إلا أقلها

---

(١) Conversion Hysteria

(٢) Obsessional neurosis

وكأن المجرى الذى حدث الابدال فيه كما قلنا "بديل كاف" للمجرى الغريزى الأصلى — بمعنى أنه يؤدى إلى اشباع حقيقى — ولا شك أنه اشباع من نوع آخر، ولكن تبقى له صفة الكفاية كالاشباع المباشر الأصلى .

ولا شك أن الأفراد حينما يتابعون لذاتهم البديلة (الأدب — الفن — الموسيقى — . . . الخ) إنما يتابعونها بشغف يذكرنا فى كثير من الأحيان بما يشعر به المستمتع بلذة جنسية مباشرة .

فالطاقة الجنسية (أو القوة الدافعة الجنسية) تتجرد فى الاعلاء كما قلنا من مميزاتها الجنسية ، وتصبح متجهة نحو غاية لا جنسية ، ولكنه يندر أن يحدث جمود فى الطاقة الغريزية بصورتها النهائية بعد تمام نضجها ، أى فى سن البلوغ و إنما يكون الجمود فى مكونات الغريزة [1] كما سنشرحها فيما بعد [2] .

ويتضح مما تقدم أن الهدف السوى الذى يرمى اليه النمو العقلى فى نظر أصحاب التحليل النفسى هو الاعلاء . وهو هدف يتضمن الصحة العقلية للفرد ، والتقدم الثقافى والاجتماعى للمجتمع . ولكن يتضح علاوة على ذلك أن حدوث الاعلاء ليس أمرا هينا ، وأنه يحدث بخطوات بطيئة ومتدرجة ويحتاج إلى الصبر الطويل ، أما التسرع فى الحصول على النتائج سواء من جانب الفرد أو المجتمع ، فهو المسئول الأساسى عن أنواع الأمراض العصبية المختلفة . ولكى نحصل على أكبر قدر ممكن من الاعلاء نجد من الضرورى أن نأخذ أنفسنا بالهوادة لا بالقهر ، وأن نحتمل من مطالب الغرائز البدائية فى الأطفال أكثر مما نحتمل فى الوقت الحاضر ، حتى نسهل لعقولهم أن تسير فى طريق السلاسة والنمو المنسجم الذى يؤدى إلى الاعلاء .

والاعلاء عملية لا شعورية ولذلك فهى ليست تحت رقابتنا المباشرة ، وليس فى قدرتنا أن نسيرها كما نسير الآلة ، وكل ما نستطيعه هو أن نهئ الوسائل التى نأخذ بيدها على الا ننسى أن العملية عملية تطورية تدريجية . ولا شك أن للاعلاء قيمته الفردية والاجتماعية . وموضوع الاعلاء أحد الدروس القيمة التى يستفيدها من التحليل النفسى كل من المربى والمصلح الاجتماعى .

---

(١) Components

(٢) أنظر ص ٨٢